

أضواء البيان

@ 27 { وَمَا خَلَقَهُمْ } أي من أمر الآخرة ، فدعوهم إلى التكذيب به ، وإنكار

البعث . .

وما تضمنته هذه الآية الكريمة ، أنه تعالى قيض للكفار قرناء من الشياطين ، يضلونهم عن الهدى ، بينه في مواضع آخر من كتابه . .

وزاد في بعضها سبب تقييضمهم لهم ، وأنهم مع إضلالهم لهم ، يظنون أنهم مهتدون ، وأن الكافر يوم القيامة يتمنى أن يكون بينه وبين قرينه من الشياطين بعد عظيم ، وأنه يذمه ذلك اليوم كما قال تعالى : { وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَانِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ } حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ ذَلِكَ بُعْدٌ الْعَمَّ شَرِّ قَيْنٍ فَيُضِلُّهُمُ الْقُرَّينُ } . .

فترتيبه قوله : نقيض له شيطاناً ، على قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن ، ترتيب الجزاء على الشرط يدل على أن سبب تقييضمه له ، هو غفلته عن ذكر الرحمن . .

ونظير ذلك قوله تعالى : { مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ } لأن الوسواس هو كثير الوسوسة ليضل بها الناس ، والخناس هو كثير التأخر والرجوع عن إضلال الناس ، من قولهم : خنس بالفتح يخنس بالضم إذا تأخر . .

فهو وسواس عند الغفلة عن ذكر الرحمن ، خناس عند ذكر الرحمن ، كما دلت عليه آية الزخرف المذكورة ، ودل عليه قوله تعالى : { إِنَّهُمْ لَيُضِلُّهُمُ سُلَاطَانُ عَلَايَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَايَ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } إِنَّهُمْ لَيُضِلُّهُمُ سُلَاطَانُ عَلَايَ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ وَنَهُمُ الَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } لأن الذين يتولونه ، والذين هم به مشركون ، غافلون عن ذكر الرحمن ، وبسبب ذلك قيضه الله لهم فأضلهم . .

ومن الآيات الدالة على تقييضم الشياطين للكفار ليضلوهم ، قوله تعالى { أَلَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُرُهُمْ أَرْسَالًا } وقد أوضحنا الآيات الدالة على ذلك في سورة مريم في الكلام على قوله تعالى : { أَلَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ } . وبيننا هناك أقوال أهل العلم في معنى { تَؤْزُرُهُمْ أَرْسَالًا } . .

وبينا أيضاً هناك أن من الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى : { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَوْمَ مَعْشَرِ الْجِنَّ } قَدْ اسْتَكْثَرْتُ مِنْ الْإِنْسِ { أي استكثرت من

إِضْلَالِ الْإِنْسِ فِي دَارِ الدُّنْيَا ، وَقَوْلُهُ : { وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ } .